**نقد النقد**

**السداسي الرابع**

**الفوج الاول و الثاني**

**المحاضرة الاولى (الخامسة)**

**نقد و إنتاج المعرفة**

**أ.د محمد بن اعمر**

**1**

**\_نقد النقد وإنتاج المعرفة:**

لـم يحـظ خطـاب نقـد النقـد باهتمـام كبيـر مـن قبـل البـاحثين، وال مـن قبـل البحـث الجـامعي،

مثلمـا حظيـت بـه الدراسـات األدبيـة األخـرى. وربمـا ال تقتصـر هـذه الظـاهرة على البحث الجامعي العربي فقط، وإنما هي ظاهرة أيضا فـي الدراسـات األدبيـة الحديثـة، بل إن قراءة كتـاب علـى كتـاب التثيـر اهتمـام القـراء كثيـرا سـواء فـي أدبنـا أو فـي بعـض الاداب الاخرى، كما يرى "تودوروف"في كتابه "نقد النقد".

وإذا كـان االهتمـام بنقـد النقـد حـديثا، فـإن تطـور إمكانيـة البحـث فيـه راجـع إلـى تطور البحث

في العلوم اإلنسانية والدراسات اللسـانية، والدراسـات األدبيـة الحديثـة، مثـل السيميائيات وطرق تحليل الخطاب. وإذا كان النقد يتخـذ مـن العمـل األدبـي موضـوعا لـه، فـإن هـذا النقـد نفسـه يصـبح موضـوعا فـي نقـد النقـد. وبعبـارة أخـرى، فـإن النقـد الـذي يعتبر لغة واصفة للغة الادبية اولى ـ لغة العمل الادبي ـ فإن نقد النقد لغـة واصـفة للغـة واصـفة. غيـر أن هـذه اللغـة تمتلـك قـدرة علـى ضـبط موضـوعها مـن خلال لغـة تسـعفها علـى الوقـوف علـى كيفيـة اشـتغال اللغـة النقديـة األولـى. وعليـه، فـإن خطـاب نقـد النقـد ينتج لغته حينما يقوى على تأطير موضوعه بأدواته النظرية والمنهجية

2 **والمصطلحية التي تميزه عن الخطابات الأخرى.**

عـرف الادب العربـي الحـديث لونـا مـن نقـد النقـد الـذي اهـتم بالخطابـات العربيـة النقدية

القديمة، وعمل جاهـدا علـى التحسس بها مـن خلال رصـد مختلـف الممارسـات النقدية وتتبعها في سيرورتها التاريخية؛ مثل: "تاريخ النقد األدبـي عنـد العـرب"، لـ"إحسـان عبــاس"، و"النقــد

المنهجــي عنــد العــرب"، لـ"محمــد منــدور"، وبحــث "محمــد بــرادة"، حــول "محمـد منـدوروتنظيـر النقـد الادبـي"، وبحـث "محمـد مصـايف"، حـول "جماعـة الـديوان"، وبحث "توفيق الزيدي"، حول "مفهوم الادبية في التـراث النقـدي العربـي"، وإلـى غيـر ذلـك من الابحاث التي لا يتسع المقام لذكرها هنا.

غير أن هذه الابحـاث المنجـزة فـي مجـال نقـد النقـد، كانـت تسـعى إلـى أن تخـرج بخالصـات

هامـة فـي تــاريخ النقـد العربـي، لهــا عالقـة بالتـاريخ الخطــي للنقـد أكثـر مــن اهتمامهـا بنقـد النقـد ذاتـه، ومـن ثـم التي لا تسـعفنا كثيـرا علـى تشـييد خطـاب نقـد النقـد، الـذي يسـعى الكتسـاب وضـعيته الاعتباريـة داخـل المنظومـة األدبيـة الحديثـة بأجناسـها وأشـكالها التعبيرية المختلفة الحديثة.

إن نقد النقد المعاصر، كمـا يـرى "أحمـد بوحسـن"، يسـعى إلـى " تطـوير ممارسـته عن طريق

شحذ أدواته ومساءلة إنجازاته والوعي بموضوعه، في إطار التعالق الحاصـل بــــين الدراســــات

الانســــانية واللســــانية واألدبيــــة المختلفــــة. وتتحــــدد باســــتمرار الوضــــعية االعتبارية لنقد النقد

حينما نجده يصوغ لغته الواصفة الممتلكة للأسس النظريـة والمنهجيـة واالصطالحية، يقوى بهـا علـى؛ ويركـز بـذلك تقليـدا خطابيا يستطيع أن يفتح آفاقا جديدة في نسـج أنسـاقه ووضـع سـننه الخاصـةالدراسة النقدية العربية المعاصرة."

وإذا كان كل خطاب يقوم على اللغة التي تدفعـه ليكتسـب هـذه الصـفة أو تلـك ، فـإن خطـاب نقـد النقـد، كمـا يقـول "أحمـد بوحسـن": "يتميـز بلغتـه االصـطالحية التـي يعتمد عليهـا، أو مـا يعـرف بالمصـطلح. ولعـل مـا يميـز العلـوم بعضـها عـن بعـض هـو اختالف مصطلحاتها ودقتها."والحـــق أن مفهـــوم " قـــراءة القـــراءة " أو " نقـــد النقـــد " لـــيس مفهومـــا جديـــدا إلا"بإطالقـه الاصـطلاحي؛ والا فـإن قـدماء النقـاد العـرب، وشـراح النصـوص الشـعرية كـانوا مارسوا، هم أيضا، ما يعرف لدينا، نحن اليوم، تحت مصطلح "قـراءة القـراءة": "إمـا جزئيـا ) كـأن يعتـرض محلـل أو شـارح/ قـارئ علـى مـن سـبقه ليعارضـه ويخالفـه، أو ليضـيف إلـى قراءتـه، أو "يصـحح" مظهـرا مـن مظاهرهـا (، وإمـا شـموليا حيـث نلفـي كثيـرا مـن قـدماء الشـراح وقـرائهم يعمـدون إلـى عمـل منهمـن القـراءة سـابق بجـذاميره فيعيـدون قراءته في ضوء مـن المعرفـة الجديـدة، أو علـى نحـو مـن الـذوق مخـالف، كمـا فعـل "أبـو محمـد األعرابـي" الـذي قـرأ مـا كـان قـرأه "أبـو عبـد اللهالحسـين علـي النمـري البصـري" مـن أبيات "حماسة أبي تمام". وهذا شأن ال يكاد الحصر يأتي عليه."ويرى "علي حرب" أن العرب قد عرفوا " قراءة القراءة " تحت أشكال مختلفة، كما يبــدو مــن المصــطلحات التــي تجســد بعــض ذلــك النشــاط النقــدي المتنــوع، مثــل "تــاريخ التاريخ " كما يظهر مـن بعـض كتابـات "ابـن خلـدون" التـي عمـدت إلـى نقـد التـاريخ وتحليلـه فــي ضــوء كتابــات تاريخيــة ســابقة و"تفســير التفســير" إذ انصــرفت العنايــة إلــى نقــد الكتابات التفسيرية السابقة مثل الحواشي التي كتبت علـى هـامش كثيـر مـن كتـب التفسـير، أو مثل ما نجده في "تفسـير الـرازي"الـذي يتعـرض كثيـرا ألقـوال المفسـرين السـابقين عليـه بالنقد والتجريح، وطرح األسئلة الحيرى أو التعجيزية التي ال يملك لها المرء جوابـا. ومـن هذا الوادي، أيضا، ما فعله "الغزالي" في كتابه "المنقذ من الضالل."أن "نقـد النقـد" ابتـدأ فـي مسـيرة النقـد العربـي بسـلوك منعـزل وهكـذا يالحـظ "علـي حـرب"جـاء إمـا ردا لقـراءة سـابقة، وإمـا نقضـا لتحليـل لـم يلـق القبـول، وهـذا يظهـر مـن تلـك التعليقات التي كانت تكتب حول المقروء، كما فعل "ابن سيده" الذي تصدى في قراءته لـ "مشكل أبيات المتنبي"

لقراءة من سبقوه.

فمفهـوم "نقـد النقــد" عنـد "علـي حــرب" يعنــي وجـود قــراءة تنسـج مـن حــول قـراءة أخــرى

تسبقها: تصفها، وتحللها، وتدرسها، وتبلورهـا، وتستضـيئها، وتبـث فيهـا روحـا جديـدا لتغتـدي منتجـة مثمـرة. إن مفهـوم "نقـد النقـد" أو "قـراءة القـراءة" مـن المفـاهيم الجديـدة التي تعنـي إنطـاق مـا أنطقتـه القـراءة األولـى التـي مورسـت علـى الـنص األدبـي، أو علـى خطاب ما، فمـن منظـور "علـي حـرب""نقـد النقـد" يعنـي تسـلط قـراءة سـابقة دون أن يـزعم للقراءة الالحقة أن تكون أمثل من السابقة وأرقى.

وهكـذا يكـون مفهـوم " قـراءة القـراءة،" أوال وأخيرا، ليس إال نقدا، أو ضربا من النقد، يبتديء من التنكر السمه.ويعـد "علي حرب" اإلبـداع فـي ذاتـه قـراءة ضـمنية للقريحـة، وترجمانـا للمخيلـة، ألنـه " انه لا تخلـوا قـراءة مـن تشـبيه، أكانـت شـرحا، أم تفسـيرا، أم تـأويال، وسـواء اخـتص األمر بقراءة العالم، أمبقراءة النصوص؛ أي قراءة القراءة."وإذا كان األمر كذلك، فهـل ينصـرف الشـأن إلـى قـراءة لقـراءة أم إلـى قـراءة قـراءة القـراءة؟ بـل إن "علـي حـرب" يعتقد أن كال من األمرين وارد دون أن يكون ممتنعا أو مستنكرا.وباإلضافة إلى ذلك، يرى "علي حرب" أن "قـراءة القـراءة" يجـب أن تـتمخض، فقط، للنص الادبي الخالص الادبية، بل لكل النصوص الدينيـة والفلسـفية والسياسـية، ويؤكـــد علـــى أن القـــراءة الثانيـــة هنـــا الينبغـــي أن تكـــون، بالضـــرورة، مجـــرد وصـــف ٕ للموضوع )النص( من الخارج،وإنما تغتدي مندمجة معه، وذات وضع كامل فيـه؛ إذ هي نفسها تستحيل إلى إبداع يكتب حول إبداع آخر فيتكامل معه.

ويفترض "علـي حرب" فـــي قـراءة القـراءة أن تؤصـل مرجعيـة القـراءة األولـى، وتكشـــف عـــن خلفياتهـــا المعرفيـــة، وتبـــرز جمالياتهـــا الكامنـــة بـــين الســـمات اللفظيــــة، والـدالالت الظـاهرة والخفيـة، وتكشـــف عمـــا لـــم يكشـــف عنـــه الناقـــد األول نفســـه، مـــع التجـانف عـن إصـدار األحكـام االسـتعالئية. وفحـوى القـول: "إن الـنص يشـكل كونـا مـن العالمات واإلشارات يقبل دوما التفسير والتأويل، ويستدعي أبدا قراءة ما لـم يقـرأ فيـه مـن قبل." وفي العصر الحديث، توجد كثيرا من الكتابات التي تدخل في باب نقد الكتابات التفسـيرية السـابقة مثـل الحـديث عـن منـاهج أشـهر المفسـرين فـي اإلسـالم، ومـن ذلـك: منهج "الزمخشري" في تفسير القرآن وبيان إعجازه، لـ"مصطفى الصاوي".ولعـل مـن أشـهر مـا ينـدرج ضـمن هـذا اإلطـار المفـاهيمي مـن الكتابـات النقديـة العربية في القرن العشرين، ما كتب عن كتاب "الشعر الجاهلي" لـ"طه حسين"، وكـذلك كـل ما كتب عن كتاب "الفن القصصي في القرآن الكريم" لـ"محمد أحمد خلف اهلا".ويالحـظ "علي حـرب" أن مفهــوم "نقــد النقــد" ال يكــاد يخــرج فــي الــدرس النقــدي العربي المعاصر عـن أحـد أمـرين: إمـا أن يصـدر عـن رضـا وتعـاطف، وإمـا أن يصـدر عن سـخط وقلـى. وفـي بعـض احيـان تكـون غايـة "نقـد النقـد" هـي التعريـف بالمـدارس النقديـة المعاصـرة، وعـرض أصـولها وأسـس فلسـفاتها وخلفياتهـا أكثـر مـن نقـدها. وهـذا مفاده أن النقود التي كتبت عن التراث، أو عن الممارسات النقدية المعاصرة، لـم تجتهـد في تصنيفها بالتحليل والتركيب والخروج منها بنتيجة مثمرة.